المسألة الحبشـــية
بين ايطاليا وانكلترا
بقلم باحث دبلوماسي كبير

يجزع الكثيرون من خصوم الاستعمار وأبناء الامم المغلوبة لما أصابت ايطاليا بوسائل العنف الشائن من ظفر وتقدم في غزو الحبشة ، وما أصاب الحبشة من خذلان وتضعضع في مقاومتها للمعتدين على حرياتها ؛ ويجزع الكثيرون من أنصار السلام لما ينذر به ظفر ايطاليا على هذا النحو ، وما تنذر به المشكلة الحبشية كلها من خطر داهم على السلام

وقد يلوح لأول وهلة أن الفريقين على حق في هذا الجزع ؛ ذلك أن ما أبدته ايطاليا الفاشستية من إقدام وجرأة في انتهاك العهود والمواثيق ، وما ارتكبته في سبيل مشروعها الاستعماري من ضروب السفك والعنف ، وما لجأت اليه لسحق الأحباش من وسائل مجرمة مثيرة كاستعمال الغازات وغيرها ، ينذر بالويل كل أمة ضعيفة لا تقوى على مقاومة الاعتداء بمثله ، ويبعث اليأس في نفوس الأمم المغلوبة ، لأنها ترى الاستعمار يثبت أقدامه ، ويزيد جرأة وعدواناً وعنفاً ؛ ولأن ما تثيره المشكلة الحبشية من خلاف بين بريطانيا العظمى وايطاليا ، وما يثيره فوز ايطاليا في شرق افريقية من مخاوف على مصالح الامبراطورية البريطانية ومستقبلها ، ينذر بانفجار قد لا تقف عواقبه عند الخصومة الانكليزية الايطالية ، بل قد يؤدي إلى حرب أوربية عامة ينكب العالم كله بويلاتها وعواقبها

بيد أنه يجب ألا نبالغ في تقدير الموقف بهذا المعيار القاتم ، فهنالك ظروف واعتبارات كثيرة يجب تقديرها إلى جانب هذه الظواهر المزعجة . ولنبدأ ببحث الموقف في الحبشة ؛ فقد تقدم الايطاليون داخل الحبشة في الأسابيع الأخيرة ، واستولوا على ولاية تجرى كلها ، وهي التي تقع فيها بحيرة تانا والنيل الأزرق ، وتقدموا أيضاً في الجنوب ، وأصابوا الجيوش الحبشية بعدة هزائم شديدة ، وهم يزحفون بسرعة نحو العاصمة الحبشية ، وقد تسقط في أيديهم قبل أن يظهر هذا العدد من (الرسالة) ؛ وفي الأخبار الأخيرة أن النجاشي قد غادر الحبشة مع أسرته إلى فلسطين على باخرة انكليزية بعد أن فقد كل أمل في الدفاع والمقاومة ، ولكن هل يعني ذلك كله أن قوى الحبشة الدفاعية قد أبيدت نهائياً كما يزعم الايطاليون ، وأن ايطاليا قد حققت ظفرها كاملاً شاملاً ، وأنه لم يبق عليها إلا أن تملي شروطها على الحبشة وعلى عصبة الأمم ؟ إن نظرة إلى خريطة الحبشة تنقض هذا الزعم ، فان التقدم الايطالي لم يجاوز حتى الآن المناطق الأهرية ، ولم يتوغل الايطاليون في الحبشة الأصلية بعد ، ولا زالت أمامهم دون الاستيلاء عليها مناطق وعرة ؛ والجيوش الحبشية لم تسحق كلها ولم تبد ، ولكنها اضطرت أن تتراجع أمام الغازات الخانقة وغيرها من الوسائل الفتاكة التي لم يحجم الايطاليون عن الالتجاء اليها خلافاً لكل قانون وميثاق حينما رأوا عجزهم عن التقدم بوسائل الحرب المشروعة ، وهي ما زالت تصمد للايطاليين في الجنوب وحيثما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ؛ وإذا قارنا ما استولت عليه ايطاليا حتى الآن من أراضي الحبشة بما كان مقترحاً أن يعطى لها في مشروع « لافال — هور » ألفينا أنها رغم انتصاراتها المتوالية لم تحقق بعد كل ما كان يراد أن يعطى لها بمقتضى هذا المشروع غنيمة باردة ؛ والفرق بين الحالتين أنها تدفع اليوم لتقدمها ثمناً فادحاً من المال والرجال

الرجل لا يعرف شيئا — ولست أدري كيف دبرت الأمر ، ولكنك على كل حال أحسنت التدبير ، ولولا هذه القابلة التي زعمتها ممرضة لاطمأن قلبي ، وأمنت الافتضاح ، ولكنها على ما يظهر استطاعت أن تكتم السر فالحمد لله . والآن وقد أحوجتني الى الكلام أفلا يحسن بعد ذلك أن تعفيني من حديث الزواج التي لا تملينه ؟ »

فلم تقل شيئا حتى سمعته يحدث نفسه ويقول « مسكينة . مسكينة »

فنهضت وسألته « أتعطف عليها »

فأشار بيده إشارة من يريد أن تذهب عنه وهو يقول « بلهاء »

ولم يدر بينهما بعد ذلك كلام في الموضوع

ابراهيم عبد القادر المازني

هـذا ومن الخطأ أن نعتقد أن مجرد استيلاء الايطاليين على الأراضي الحبشية يكفل تحقيق الأماني الايطاليـة ، ويعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ؛ ذلك أنه يجب على إيطاليا إذا أرادت أن تستغل ثمار ظفرها ، أن تحتفظ بما استولت عليه من الأراضي ، وأن تسحق كل مقاومة من جانب الأحباش ؛ ولـكن المعروف أن دون هذه الغاية صعاباً جمة ، وأن إيطاليا ستلقى مدى حين مقاومة مستمرة من الأحباش ، وستضطر إلى أن تتكبد في هذا السبيل جهوداً ونفقات قد تعجز عن الاستمرار فيها إذا طالت مقاومة الأحباش ؛ بل يرى بعض الثقات اليوم أن إيطاليا قد استنفدت بالفعل في هذه الحروب الاستعمارية العنيفة كل موازدها القائمة ، وأنه إذا بدأ فصل الأمطار في الحبشة قبـل أن تسحق مقاومة الأحباش بصورة حاسمة ، فان مركزها وخططها في الحبشة تعرض لأشد الأخطار

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك عاملاً حاسماً آخر ، وهو موقف انـكلترا من المسألة الحبشـية ومن إيطاليا ، وهو موقف ستكشف الأيام القريبة عن حقيقته

* * *

وعصبة الأمم ماذا كان موقفها إزاء هـذا الاعتداء الشائن ؟ لقد بدأت العصبة بداية حسنة ، فأسندت تبعة الاعتداء إلى ايطاليا ، وقررت تطبيق العقوبات الاقتصادية ضـدها ؛ وكان للسياسة البريطانية أكبر نصيب في تنظيم هـذه الحركة الدولية الخطيرة ؛ ولـكن فرنسا التي تربطها بايطاليا معاهدة صداقة خاصة واتفاقات سرية ذاع أمرها فيما بعد ، قاومت سياسة العقوبات رغم موافقتها نظرياً على تقريرها ، ووقفت الى جانب ايطاليا موقفاً كان له أكبر الأثر في شل سياسة العقوبات ، ومجز عصبة الأمم عن تقرير عقوبات أخرى كانت تزمع فرضها كتحريم اصدار الزيت والحـديد الى ايطاليا ؛ هذا ولم يبق سراً أن فرنسا تشد أزر ايطاليا في هذه الحرب الاستعمارية بصفة إيجابية ، وانها تعاونها بالقروض السرية ؛ وهي من جهة أخرى تعرقل تصدير السلاح الى الحبشة من طريق جيبوتي ، خلافاً للاتفاقات المعقودة فتزيد بذلك في اضعاف المقاومة الحبشية وتمهيد السـبيل لتفوق الجيوش المعتدية

ولقد كان موقف العصبة إزاء هاتين السياستين المتناقضتين يدعو الى الرثاء ، فلا هي استطاعت رغم تأييد السياسة البريطانية أن تسير في تطبيق العقوبات الاقتصادية على ايطاليا بالحزم الواجب تأييداً لمبدأ السلامة الاجماعية الذي تعمل باسمه : ولا هي استطاعت بأية وسيلة أن تحمل ايطاليا على وقف اعتدائها الصارخ ، أو قبول الصلح في الحدود التي رسمتها منذ بداية الاعتداء ؛ بل ولا استطاعت أن تحمل ايطاليا على احـترام أبسط قواعد الحرب الشرعية والعدول عن الالتجاء الى الوسائل الهمجية الفتاكة من غازات قاتلة ومحرقة وغـيرها ضد شعب يكاد يكون أعزل إزاء وسائل التسليح الحـديثة ؛ وما زالت عصبة الأمم منـذ أشهر تجتمع وتسوف على غـير طائل ، وايطاليا تمضي في اعتداء هو أشبه بالقرصنة المجرمـة منه بالحرب المشروعة ، فتمزق الأحبـاش محاربين ومسالمين بغازاتها وطياراتها ، وعصبة الأمم لا تكاد تجد ما تقوله إزاء هذه النذالة التي تثير استنكار العالم المتمدن بأسره ، إذا استثنينا بعض الجهات الاستعمارية الجشـعة التي ترى فوز ايطاليا عاملاً في تثبيت أقدام الاستعمار في أفريقية

* * *

على أن ظفر ايطاليا الحربي في الحبشة لا يكفي لتسوية المسألة الحبشية مهما كان مدى هذا الظفر ؛ فمن وسع ايطاليا أن تستولي عسكريا على الحبشة كلها ، ولـكن الاحتلال العسكري لا يمكن أن يعتبر مستقراً أو نهائيا ، ولا يمكن بأي حال أن يعتبر خاتمة المشكل ، ولابد أن تحسب ايطاليا أعظم حساب لموقف السياسة البريطانية ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ترى في استيلاء ايطاليا على الحبشة وتوسع الاستعمار الايطالي في شمال افريقيه خطرا عظيما على سيادتها ونفوذها في وادي النيل وشرق أفريقيه ، وترى في نهوض ايطاليا الاستعمارية وفي اضطرام الروح الفاشستية بالأطماع والمشاريع الاستعمارية خطرا أعظم على سيادتها في البحر الأبيض والبحر الأحمر وعلى مواصلاتها الاستعمارية التي تسهر على حمايتها بيقظة متناهية ، فالمسألة الحبشية في ذاتها تحتل في نظر بريطانيا مكانا ثانوياً ، ولـكن المسـألة الجوهرية هي ما يترتب على فوز ايطاليا واعتزاز الروح العسـكرية الفاشستية بهذا الفوز ، وهي روح اعتدائية أخذ يبدو خطرها في البحر الأبيض ظاهرا ملموسا ؛

والسياسة البريطانية تعمل منذ بدء المشكلة الحبشية وراء عصبة الأمم ووراء مبدأ السلامة الاجماعية ؛ وقد كانت تتوقع عند فوزها بتقرير سياسة العقوبات الاقتصادية أن هـذه العقوبات ستحدث أثرها فى أهبة إيطاليا وفى مواردها بسرعة ، فتقبل الصلح على الأسس التى وضعتها عصبة الأمم ؛ ولـكن السياسة الفرنسية المازقة التى تعمل من وراء الستار لشد أزر إيطاليا حالت كما رأينا دون تحقيق هذه الغاية ، واستطاعت إيطاليا أن تحرز بوسائلها العسكرية المجرمة فى الحبشة انتصارات خطيرة ؛ فالسياسة البريطانية تجد الآن نفسها بعد فشل سياسة العقوبات ، وانهيار المقاومة الحبشية ، فى موقف حرج ؛ وإذا كانت خطتها التالية لم تتضح بعد ، فانه مما لا ريب فيه أن وجهة نظرها إلى الموقف لم تتغير بل ربما كان اهتمامها اليوم بقمع الخطر الايطالى على مصالحها ومواصلاتها أشد منه فى أى وقت آخر

ومن المحقق أن السياسة البريطانية تؤثر العمل بوسائل لا تدفعها إلى الحرب ؛ والظاهر من تصريحات مستر إيدن وزير الخارجية البريطانية فى جنيف ، وتصريحات مستر بلدوين رئيس الوزارة ، وأقوال الصحف البريطانية ذات الرأى ، أن انكلترا ما زالت ترى المضى فى سياسة العقوبات الدولية ، مستظلة بعصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وأنها ستقوم بمحاولة أخرى فى هذا السبيل قبل أن تفكر فى الالتجاء إلى وسيلة أخرى ؛ والظاهر أيضاً أن أنصار هذه السياسة يرون أن الانتصارات الايطالية الأخيرة فى الحبشة لا تقوم على أسس مستقرة ؛ وأن إيطاليا لا تستطيع المضى طويلاً فى الاضطلاع بهذه الاعباء والتضحيات الفادحة التى تضطلع بها ، وأن أحوالها الاقتصادية الداخلية بلغت مأزقاً خطراً ، فاذا استطاع الأحباش أن يصمدوا فى الجنوب وأن يحتفظوا بنوع من المقاومة بضعة أسابيع أخرى حتى يبدأ فصل الأمطار ، وإذا ظفرت انكلترا أثناء ذلك بحمل عصبة الأمم على تقرير عقوبات جديدة أخصها حظر الزيت ، فان الخبراء يرون أن خطط ايطاليا العسكرية تعرض فى هذه الفترة الى أشد الأخطار ، فقد يستطيع الأحباش فى فترة الأمطار أن ينظموا قواهم مرة أخرى ، وتكون موارد ايطاليا قد نفدت أو أوشكت على النفاد فتضطر الى وقف الحرب وقبول الصلح ؛ وتؤمل السياسة البريطانية أن تسنح الفرصة لتقرير العقوبات الجديدة عقب الانتخابات الفرنسية الجديدة ، فقد ظهر منها أن فرنسا تميل هذه المرة الى أحزاب اليسار ، وأحزاب اليسار تؤثر تأييد عصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وترى أن هـذه السياسة أقرب الى تحقيق السلام من سياسة التلون والمازقة التى جرت عليها فرنسا إزاء المشكلة الحبشية ، وهى سياسة دفعت ثمنها غالياً فى مسألة الرين ونقض ألمانيا لمعاهدة لوكارنو ، حيث خذلتها انكلترا فى هذا المأزق ، وألقت عليها درسا عميق الأثر

ويرى بعض أقطاب السياسة البريطانية فوق ذلك أنه يجب على إنكلترا إذا اقتضى الأمر أن تلجأ إلى إجراءات الحصار العسكرية ، فتغلق قناة السويس بموافقة عصبة الأمم ، وتقطع بذلك مواصلات إيطاليا مع شرق إفريقية ، وهذا إجراء قد يؤدى إلى نشوب الحرب بين إيطاليا وانكلترا ، لأن موسوليني ما فتىء يهدد بانه يعتبر إغلاق قناة السويس إجراء عدائياً عسكريا يجيب عنه بالمثل ، ولـكن أصحاب هذا الرأى يرون أنه خير أن تضطلع انكلترا بعبء حرب محلية فى البحر الأبيض من أن تترك الفاشستية تمضى فى تهديدها للسلام حتى تنشب حرب أوربية أو عالمية ؛ ويقولون إنه ليس لايطاليا أن تحتج بخرق المعاهدات الدولية فى مسألة اغلاق القناة بعد أن خرقت هى كل العهود والمواثيق الدولية ، وهذه النظرية تلقى اليوم كثيرا من التأييد فى انكلترا ، بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الانكليزية الرسمية ما زالت بعيدة عن الأخذ بها

إن السياسة الانكليزية تعتمد كثيراً على الزمن وعلى تطور الحوادث والظروف ؛ وإذا كانت الظروف لم تحقق إلى اليوم تقديراتها وأمانيها ، فليس من ريب فى أن استطالة الحرب الحبشية تستنفد قوى ايطاليا ومواردها ، وتضعف مركزها فى أوربا ؛ وقد حققت الحرب الاستعمارية الطاحنة التى تدور فى الحبشة منذ سبعة أشهر كثيرا من دواعى هذا الانهاك ؛ ولا عبرة بمظاهر النصر الخلابة التى تهول ايطاليا بها ، فانها تدفع فى سبيلها أفدح الأثمان ؛ وما زال الزمن عاملاً حاسما فى اخماد الجذوة الاستعمارية الفاشستية وردها إلى الصواب

***